نصوص قديمة
حوارات من العراق القديم

الأستاذ الدكتور سلسل محمد العاني
مركز احياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

المقدمة:

لايكاد حقل من حقول النتاجات الفكرية في عصرنا الحاضر يخلو من اثر يمتد بجذوره الى حضارة العراق القديم، حيث كان لسكانه من السومريين، بشكل خاص، اليد الطولى في وضع اللبنة الاولى في اساسه، فقد سبقوا غيرهم في التنبيه او الاشارة الى جوانب كثيرة في الحياة، غير تدبير المسكن والمأكل وتأمين النفس. هذه الخفايا التي عدها البشر امورا غامضة جالت بالتأكيد في ذهن كل شخص، سواء كان ادراكه ضئيلا ام واسعا، الا ان الفرق يتجلى في ان الاشخاص من ذوي القدرة وضعوا اجوبة لهذه الاسئلة الشائكة، قد تكون صحيحة ، وقد تكون خاطئة كل وفق استعداده الذهني. وربما سنفهم تفسيرات حكماء ما بين النهرين اذا ما وضعنا نصب اعيننا طبيعة وقدم الفترة التي عاشوا فيها، وهي فترة، بلا شك، بداية نشوء الحضارة الانسانية.

لقد امدونا بومضات مضيئة، رغم كونها خافتة احيانا، ظلت تسير متزامنة مع ركب الحضارة الاخذة بالنمو والازدهار، وما نقصده بالجوانب الغامضة التي احاطت وما تزال تحيط بالانسان وظلت مشكلت فهمها البعض، والبعض الآخر ما يزال لا يجد لها تفسيرا، ولم يقتنع بالاجوبة التي وضعها غيره مثل: نشوء الكون، خلق الانسان، القدرة المسيّرة للكون، الموت، الحياة ما بعد الموت وغيرها. دارت هذه التساؤلات في ذهن الانسان الاول، يحاور بشأنها نفسه خفية، في اغلب الاحيان، بسبب مساسها بالمقدس، ومن ثم ، على ما نعتقده، بدأ يحاور من حوله ومن خلال هذه الحواريات او الاسئلة والاجوبة بدأت وتورت اللغة واتسعت آفاقها في مرحلة لاحقة لتشمل كلمات عديدة، لا بل مختلفة، للمصطلح الواحد.

ومن هذا المنطلق نشأ الحوار من خلال التفسير البسيط لطبيعة الحياة بين عامة الناس. اما الطرف الاكثر علما ومعرفة من الناس، فمن الطبيعي ان تكون اجوبتهم على هذه الاسئلة اكثر اقناعا لمعاصريهم وقد اطلقت على هذه التفسيرات تسميات شتى، كالمعرفة، وسعة الاطلاع، والحكمة، واذا ما تميزت بطابع فكري اصيل سميت فيما بعد، فلسفة.

هل الادب فلسفة ام العكس؟

زودتنا خضار وادي الرافدين بعدد هائل من الالواح الطينية المدونة، مقارنة مع مراكز حضارية أخرى في العالم. فقد ظهرت كتابات ذات مضامين متعددة، في والوقت الذي كان فيه معاصريهم في بقاع الارض لا يزالون يتداولون القصص الملحمية شفاها[١]. اذ عرفوا القصص والملاحم والاساطير، ودونوا الصلوت والادعية والترانيم، وكتبوا الامثال والحكم والاقوال، ونظموا قصائد الغزل والمناحات، وصنفت كلها بأنها على قدر كبير من الاهمية، كونها تعكس الجوانب الدينية والادبية والاجتماعية للمجتمع العراقي. اضافة الى احتوائها على مضامين ناقشت امورا فلسفية وفكرية، كالحياة والموت، وخلق الكون والانسان، والخير والشر، والثواب والعقاب، وهي امور سبقوا فيها غيرهم من الشعوب القديمة[٢].

قادت الاساطير والخرافات الى نشوء التفكير الفلسفي[٣]، فالاسطورة والفلسفة هما نتاج فكري بحت، كلاهما يبحثان في سلوك واخلاق وطبائع بني البشر. يضاف الى ذلك ان الاسطورة والسحر والفلسفة تتداخل جميعا لتكون نمطا من التفكير او الذهنية، ليس من الضروري ان تتفق بل انها تتضارب احيانا، وسمي بالذهنية الالتباسية مقابل الذهنية العلمية[٤].

من جانب آخر، فأن الفلسفة، منذ عهد افلاطون وحتى عصرنا الحاضر، لها صلة وثيقة بالشعر، ذلك ان حكماء البشرية فطنوا منذ القدم الى ان الحقيقة لا تظهر واضحة بين السطور، وانها كثيرا ما تستتر بين كلمات الاساطير والخرافات والرموز والاقاصيص والحكم الشعبية " ومهما حاول الفيلسوف ان يحكم عقله في كل شيء، ومهما خيل اليه ان فلسفته هي نظر عقلي خالص، بل مهما اراد ان يجعل من فلسفته علما دقيقا محكما فأنه لابد ان يجد نفسه محمولا على اجنحة الخيال، الى عالم تختلط فيه الحقيقة بالشعر ويمتزج الواقع بالخيال"[٥].

اذن، ما علينا الا ان نسلم بأن كتابة القصص والملاحم وغيرها من النصوص القديمة رغم انها صنفت من ضمن ابواب الادب لكنها، بالتأكيد لا

تخلو من مناح فلسفية، كما ان الادب عرف قبل الفلسفة، وان الفلسفة التي تقوم على العقل ترتكز كذلك على الخيال الذي هو ميزة اساسية من مميزات الادب.

سميت الحكمة عند البابليين بـ(némequ)، وتعني المهارة في العبادة والمعرفة والسحر، كما نعتوا الحيم نعوتا مثل: (mūdû enqu)، (hassu)، (etpēsu)، والرجل الحكيم هو المعلم[٦].

ولتسمية الحكيم مدلولاتها الفكرية والاجتماعية على حد سواء، فهي ليست تسمية تطلق على الرجل المتعلم فحسب، بل تستخدم لنعت من له دراية بعلوم شتى، ولمن له اجوبة مقبولة لتساؤلات كثيرة، الدينية منها بشكل خاص، نظرا لشمول هذا الموضوع جوانب متعددة يصعب فهمها من لدن الانسان العادي، كما ان الحكيم يتمتع بافق ذهني واسع متشعب يمكنه من استيعاب كل الاسئلة التي تطرح عليه من قبل الناس، او تلك التي تدور في رأسه. والامثلة عديدة لحكماء العراق القديم تركوها مسجلة في الملاحم والاساطير حول نشوء الكون وخلق الانسان وغيرها من الامور التي نعدها اليوم مواضيع فلسفية رغم تداخلها مع الاديان، سواء كانت هذه الاديان سماوية او موضوعة من قبل الانسان.

ان الحيرة التي انتابت الانسان بشأن ما يقع عليه، عرف من عهد سلالة اور الثالثة (٢١٢٠-٢٠٠٤ق.م/ القرن الواحد والعشري ق.م) ، ذلك ان الشخص المتظلم يظل جاهلا بالاثم الذي ارتكبه لان تنزل به الآلهة العقاب. ومع ذلك فأن الترانيم السومرية اكدت على تحكم الآلهة بمصير البشر. واذا ما اخذنا هذان الامران معا فأن الكهنة في الفترة الكشية (١١٦٢-١٥٩٥ق.م) اسلافهم من قبل قد قالوا بمبدأ ان الانسان ليس لديه حدس او بديهية لمفهوم الخطيئة وان الآلهة وحدها بامكانها اظهار الخطيئة، وعليه فان خطايا الجهل كانت معروفة، واوضحت ان الانسان الذي لا وعي له بالاثم هو مع ذلك يكون مذنبا امام الالهة وعليه ان يعاني. ويتضح ذلك في الفقرات التالية[٧].

- ان البشرية صماء لا تعرف شيئا
- ما مدى لديه من معرفة على اية حال؟ وهنا يقصد الانسان
- اين الرجل الحكيم الذي لم يأثم ويرتكب امرا بغيضا؟
- اين الذي كبح زمام نفسه ولم يتدنس؟

- هل هنالك من كبح زمام نفسه ولم يعمل امرا بغيضا؟

لقد ترك لنا سكان وادي الرافدين هذه المفاهيم معروفة ضمن ما اتفق على تسميتها بالاعمال الادبية، جاءت بشكل حوارات بين اطراف تباينت منازلهم الاجتماعية.

فهناك على سبيل المثال لا الحصر محاورة الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ق.م) مع نفسه بشأن خفايا مقتل ابيه الملك سرجون، ومحاورة بين اله وملك، وبين صديقين، وبين سيد وعبد، بل اتسع نطاق ميدان المحاورات ليشمل مناظرة او حوارا بين ضربين من النبات او صنفين من الحيوان.

سمي هذا الضرب من النصوص بالادب وتحديدا بادب الحوار، وقد فرق لغويو العرب بين المصطلحات المستخدمة فيه، وهي متعددة لا يمكن لنا تناولها جميعا وسنختار نوعين منها لنلقي الضوء على تعريفهما نظرا لانطباقهما على النصوص التي اخترنا البحث فيها.

الحوار والجدل:

" المحاورة هي المجاوبة، والتحاور التجاوب، فما احار الي جوابا وما رجع الي حويرا ولا حويرة ولا محاورة ولا حوارا، أي ما ردَّ جوابا. واستحاره أي استنطقه وقيل اراد به الخيبة والاخفاق. واصل الحوار الرجوع الى النقص" [٨] والمحاورة والمجاوبة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[٩] كما عرف (العجم الفلسفي) الحوار بأنه : لابد من التحاور والتجاوب من وجود متكلم ومخاطب، ولابد فيه كذلك من تبادل الكلام ومراجعته والهدف من الحوار توليد الافكار الجديدة في ذهن المتكلم، لا الاقتصار على الافكار القديمة، وفي هذا التجاوب توضيح للمعاني واغناء للمفاهيم يقودان الى تقدم الفكر[١٠].

وعرفت (دائرة المعارف البريطانية) الحوار بمفهومه الادبي، بأنه شرح نظم بدقة هيئة محادثة ابتكارية لمواقف فلسفية او فكرية متباينة. ونسبت اقدم حوار الى مسرحية قديمة من سيسيليا كتبت بشكل نثر موزون، في بداية القرن الخامس ق.م، ورغم ان النص لم يصل الينا الا ان جوهره تظمنه مقطع شعري لمسرحية قديمة آخرى من القرن الثالث ق.م، وضعها

هيروداس (هيروناس)، وهو من الاسكندرية، انطوت على مشاهد مختصرة مستقاة من الحياة اليومية ولابد هنا من الاشارة الى افلاطون رغم علمه بنص سوفرون واعجابه به الا ان شكل المحاورات الفلسفية التي كتبها بحدود عام (٤٠٠ق.م) كانت اصيلة وتعد بمثابة خلق ابداعي خاص به[١١].

"والحوار اذا ما كان تجاوبا بين الاضداد كالمجرد والمستخلص والمعقول والمحسوس والحب والواجب سمي جدلاً" [١٢]والجدل هو "محركة اللدد في الخصومة والقدرة عليها، ومنها اخذ الجدل المنطقي الذي هو القياس المؤلف من المشهودات او المسلمات والغرض منه الزام الخصم، وافهام من هو قاصر عن اراك مقدمات البرهان، والجدال المخاصمة والخصام، والمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، واصله من جدلت الحبل اذا احكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه وقيل اصله الصراع"[١٣].

اذن الحوار هو الكلام بين طرفين بشأن قضية ما، وقد يكون هناك تناقض في وجهات النظر وهذا ما يضيف الى الموضوع غنى ويجعله متشعبا ليشمل قضايا اخرى وهو ليس من الضروري ان ان يحصل فيه اقناع للجانب الثاني اما الجدال فينبغي ان يتجلى فيه الاقناع والرضوخ للطرف الآخر، أي سيادة رأي على رأي آخر وعلى المقتنع التحلي بالشجاعة واتساع الافق تمكناه من التخلي والتنازل عن افكاره ومبادئه، ولا يخلو من ان يلقبه البعض بضعف الشخصية وانعدام الارادة ، فالحقيقة انه ليس من السهل على المرء تغيير مواقفه والاستسلام وتبني افكار الغير، ونعرّف الجدال، ببضع كلمات، انه منازعة او خصومة فكرية، سلاحها الكلمات المهذبة، يستخدم فيها العقل والعبارات بدل الايدي والكلمات الجارحة.

الاله والملك:

حوار هادئ، ذا صبغة دينية ملكية دارت بين الاله نابو والملك الآشوري آشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ق.م/ القرن السابع ق.م) بدأها الملك[١٤]:

- انا اواظب على اطرائك، نابو، في مجمع الآلهة العظام، فعسى الحشد الذين يتمنون الشر لي لا يستحوذون على حياتي.

في معبد ملكة نينوى ، تقربت اليك ، بطلا بين اخوته الالهة ، انك موضع ثقة آشور بانيبال دائما وابدا منذ كنت طفلا صغيرا ، ارتميت عند قدمي نابو ، فلا تتركني لمجمع الذين يتمنون الشر لي يانابو .

رد الاله نابو بقوله:

- انتبه يا آشور بانيبال ، انا نابو حتى نهاية الزمان ، ان قدميك لن توهنا، ولن ترتعش كفيك ، ولن تخاف شفتيك عند الصلاة لي ، ولن يتلعثم لسانك على شفتيك ، لاني سأمنحك الكلام العذب ، وسأرفع رأسك واجعل جسمك مستقيما في بيت اما شماش .

ويكمل نابو :

ذلك فمك العذب الذي يواظب على الصلاة لاوركيتو ، قوامك الذي خلقته ، يصلي لي باستمرار في اما شماش .

قدرك الذي اوجدته انا ، يصلي لي باستمرار مثل : "اجلب الامان لاكشنكلما " .

روحك تصلي لي باستمرار : "اطل حياة اشور بانيبال " .

(بين هذين الحوارين يذكر النص وصف للملك وهو يؤدي طقوس الطاعة للاله جاء فيه) :

اشور بانيبال جاث على ركبتيه يصلي لسيده نابو باستمرار .

- ارجوك نابو ، لاتتخلى عني ، حياتي كتبت قبلك ، اودعت روحي في حضن موليسو .

ارجوك يا نابو القوي لاتتركني بين هؤلاء الذين يتمنون الشر لي .

اجاب اله الحلم من بين جمع سيده نابو :

- لاتخف اشور بانيبال ، سأمنحك الحياة المديدة ، سأودع النسائم العذبة في روحك ، سيباركك فمي العذب دوما في مجمع الالهة العظام .

فتح اشور بانيبال يده ليصلي صلاة متواصلة لسيده نابو :

- عسى ان لايلحق الخزي بالذي امسك بقدمي ملكة نينوى ، عند جمع الالهة العظام ، عسى ان لايلحق الخزي بالذي جلس قرب اوركيتو عند جمع هؤلاء الذين يتمنون الشر له .

- لاتتركني لجمع الذين يتمنون الشر لي ، يا نابو لاتترك حياتي لجمع اعدائي .
- كنت طفلا اشور بانيبال حين تركتك مع ملكة نينوى ، كنت رضيعا اشور بانيبال حين جلست في حضن ملكة نينوى ، كانت حلمها الاربع في فمك ، ترضع من اثنتين ، وينثر الحليب على وجهك من اثنتين .

الذين يتمنون الشر لك اشور بانيبال سيطيرون مثل اللقاح على سطح الماء سيسحقون عند قدميك مثل حشرات بوربلاتو في الربيع .
انت يا اشور بانيبال ستقف امام الالهة العظام وستبجل نابو .

الحوار هنا من وحي الخيال بطبيعة الحال ، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان الاله نابو لبس له وجود او انه في عالم الغيب . للملكية منزلة مقدسة عند العراقيين القدماء ، اذ تذكر اسطورة سومرية ان العناصر التسعة الاولى من بين مائة عنصر من عناصر التحضر والمدنية ، كان من بينها القيادة والتاج والصولجان واشارات الملك ، الامر الذي يؤكد اهمية الملكية عند السومريين حيث عدوها اساسا لنشوء المدنية ، وفي نص يعود الى فترة لاحقة ، يصف ناسخ اللوح اعداء الدولة في الشمال والشرق بأنهم : "لايعرفون بيوتا وليس لهم ملوك " فالالهة عندهم تختار الملك بنفسها وتقدم له وظائفه.[١٥] من جانب ثان اعتبر كثير من الملوك انفسهم ابناءا للالهة فيذكر جوديه حاكم مدينة لجش (القرن الثاني والعشرون ق.م) انه ابن الالهتين نينا ونينسون ، واورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة الذي حكم بين (٢١١٣-٢٠٩٦ق.م) .

قال انه ابن الالهة نينسون ويشير الملك الاشوري سنحاريب (٦٨١-٧٠٤ق.م) بأن : الربة ملكة الالهة قد اختارتني للملك عندما كنت في رحم امي : "ويقول اشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ق.م) ان امه هي الالهة ننليل (زوجة الاله اشور)"[١٦].

نستدل من هذه المقدمة ما للحوار الذي نحن بصدده من قيمة دينية واجتماعية اضافة لتأكيده على اهمية الملك بالنسبة لشعبه ، وقد كتب بصيغة يفهم منها ان هناك امورا متفق عليها سلفا بين الطرفين . فأشور بانيبال يقدم التماسا الى الهة سعيا للتقرب منه وطلب رضاه ، مؤكدا له مواظبته على تقديسه منذ طفولته ، ولم يدخر الاله نابو وسعا في ايضاح موقفه تجاهه بحمايته من مجمع الشر الذي يكيد له .

تعكس الحوارية للقارىء في هذا العصر وكأنها كتبت ليس لتثبيت الملك من قبل الاله او تقديم فروض الطاعة بالنسبة للملك بل رسالة صريحة موجهة للشعب

واعداء الملك غايتها اضفاء طابع القدسية على الحاكم وان اختياره جاء بتفويض الهي .
لقد كان بمقدور مؤلف النص كتابته بشكل نثر مسترسل يتضمن المعاني نفسها ، لكن بلاغته ومقدرته الفذة في التحكم بلغته دفعته الى تدوينها بهيئة حوار لتوقع في نفس القارئ اثرا بليغا .

المعذب والصديق

هو جدال ديني – اجتماعي بين صديقين وقع الظلم على احدهما فيما راح الثاني يهون الامر عليه ، وقد اتسم باختلاف وجهات النظر بينهما .
اتصف النص بكونه وثيقة للتاريخ الاجتماعي فالصديق الذي له اعتقاد ديني راسخ يبدو وقد انهك نفسه بالقول لصديقه التعيس ان التقوى تقود الى النجاح في الحياة . اما الحيف الذي واجهه في حياته فقد الم به نتيجة آثام ارتكبها . والملاحظ ان هذه الآثام ظلت مستترة في مضمون الحوار ولم يكشف عنها.[١٧]
المشكلة الاخرى التي اثيرت هي التساؤل حول سبب اضطهاد بعض الناس لغيرهم دون مبرر . كما احتوى على تعنيف الصديق لصديقه لانتقاصه من الالهة وقنوطه مذكرا اياه ان ما جابهه من مظالم ليس من ترتيب البشر بل هي امور مقدسة من صنع الالهة لاجل فائدة الانسان وان انكار هذه الحقيقة هو اثم كبير.[١٨]
يتألف النص من مقاطع شعرية بلغ عددها (٧٢) ، خصص لكل متكلم (١١) سطرا . فيما فقدت بقيت المقاطع الثمانية ، كما دون اسم المؤلف حيث يقول : "أنا شاكل – كينام – يوبيب ، كاهن التعاويذ ، عابد الاله والملك " [١٩].
وردتنا عدد من النصوص من الحقبة الاشورية والبابلية واشارات من سبار تؤكد ان هذا الضرب من التأليف لاقى اهتماما من لدن المتعلمين الذين عاشوا في فترات متأخرة ، ومن اقدم النصوص التي وصلتنا تلك التي تعود ملكيتها لمكتبة الملك الاشوري آشور بانيبال (القرن السابع ق.م) اما النص الذي نحن بصدده فقد وضع حوالي (١٠٠٠ق.م)[٢٠]
ولايمكن ارجاعه الى فترة ما قبل العصر الكشي (دام حكم هذه السلالة حوالي اربعة قرون ١٥٩٥-١١٦٢ق.م) فأسم الكاهن او المؤلف اسم شائع

في هذه الفترة ،وهذا يعطي احتمالا بأنه عاش بعد عام ٨٠٠ق.م . اضافة الى ان اللغة التي استخدمت تعكس تأثيرات من الفترة البابلية الوسطى او المتأخرة.(٢١) تجدر بالملاحظة ان ما أشرنا اليه بـ(.....) يعني ان الكلمات اما مفقودة او تالفة لا يمكن قراءتها .

جاء في النص بين الصديقين: [٢٢]

- **المعذب :**

- ايها العاقل .... اقدم ، دعني اقول لك .
- ..... دعني اعلمك .
- ..... أنت ،
- أنا ... المعاناة ، سوف لن تنقطع لتبجيلك .
- اين الرجل الحكيم في مقدرتك العقلية ؟
- اين هو العالم الذي باستطاعته منافستك ؟
- اين هو الناصح الذي باستطاعتي رواية حزني له ؟
- لقد انتهيت ، الكرب حل بي . – كنت الطفل الاصغر ، اخذ القدر ابي ،
- امي التي حملتني تركت الى ارض اللاعودة .
- ابي وامي تركاني بلا حامي .

- **الصديق :**
- الصديق المحترم ، ماتقوله كئيب .
- تركت عقلك يكمن على الشر ، صاحبي العزيز .
- جعلت من تمييزك للامور كتمييز الحمقى .
- احلت اشراقة وجهك الى عبوس .
- ان ابائنا في الحقيقة ، قد استسلموا وذهبوا الى طريق الموت .
- في مقولة قديمة " يعبرون نهر خُبّر " .
- اذا ما اخذت البشرية بنظر الاعتبار ككل .
- ... ليس ... جعل من الابن البكر الفقير ثريا .
- فمن الذي يؤثر الرجل البدين الثري؟
- ان الذي يخدم الهة له ملاك يحميه .
- الرجل المتواضع الذي يخاف الهته يجمع ثروة .
- **المعذب :**
- صديقي ، عقلك كنهر ينبوعه لاينضب .

- غزارة البحر الذي لايعرف النقصان .
- سأطرح عليك سؤالا ، اصغ لما اقوله .
- انتبه للحظة ، اسمع كلماتي .
- ان جسدي حطام ، الهزال جعلني مكفهرا .
- نجاحي اختفى ، استقراري مضى .
- قوتي ضعفت ، رخائي انتهى .
- النواح والحزن شوها قسماتي .
- الذرة في حقولي ، ابعد ما تكون لاشباعي .
- نبيذي ، حياة البشرية ، قليل جدا لاشباعي .
- هل يمكن ضمان حياة النعيم ؟ اتمنى معرفة ذلك !

- **الصديق :**
- ان ما اقوله هو امر مكبح ....
- لكنك .... عقلك مثل رجل مجنون .
- لقد جعلت من .... مشتتا وغير منطقي .
- لقد حولت اختيارك ....اعمى .
- اما بالنسبة الى رغبتك الملحة التي لاتنتهي الى ....
- الطمأنينة السابقة .... من خلال الصلوات .
- مرضاة الالهة تسترد عن طريق .....
- ..... الذي لاسند له يستحق الرثاء ....
- ينشد دائما المعيار الصحيح للعدالة .
- .... العظيم ، سيبدي الشفقة .
- .... ستضمن الرحمة .

المعذب :

- انا انحني لك ، رفيقي ، انا ادرك حكمتك .
- .... تعبير كلماتك .
- ..... اقدم ، دعني اقول لك شيئا .
- الاخدر ، الحمار الوحشي ، الذي يملى نفسه ....
- هل ابدى اهتمامه لمانح الوحي الالهي المقدس ؟
- الاسد المتوحش الذي يفترس اللحم الذي يختاره .
- هل جلب عطيته من الطحين ليرضي غضب الالهة ؟
- ..... المحدث الثراء الذي ضاعف من ثروته .
- هل وزن الذهب الثمين لاجل الالهة مامي .
- هل انا توقفت عن تقديم العطايا ؟ لقد صليت لالهي ،
- لقد تلفظت بالبركة على قرابين الالهة التي اقدمها بانتظام .....

- **الصديق :**

- ايها النخلة ، شجرة الغنى ، اخي الغالي ،
- الممنوح الحكمة كلها ، جوهرة الذهب .
- انك راسخ كالارض ، لكن قصد الالهة عيد .
- انظر الى الحمار الوحشي الرائع في السهل .
- السهم سيطارد الجارح الذي يطأ الحقول .
- اقدم ، تأمل الاسد الذي ذكرته ، عدو قطيع الماشية .
- بسبب الجريمة التي ارتكبها فأن الوجرة بأنتظاره .
- الغني المحدث الثراء الذي يكدس البضائع .
- سيحرق على الوتد ، من قبل الملك ، قبل اوانه .
- هل تريد المضي بالطريقة التي مضى بها هؤلاء .
- ام تفضل التماس المكافأة الدائمة من الهك ؟

- **المعذب:**

- ان عقلك ريح شمالية ، نسيم عليل للناس .

- الصديق المختار ، ان نصيحتك رائعة .
- كلمة واحدة فقط اضعها امامك .
- ان هؤلاء الذين يهملون الاله يمضون الى طريق الرفاهية .
- في حين ان الذين يصلون للالهة يفقرون ويسلبون .
- في صباي ناشدت ارادة الاله .
- بالسجود والصلاة اتبعت الهتي .
- لكني تحملت عمل السحرة العديم الفائدة كالعبد .
- وبدلا قضى الهي بالحرمان من الثروة .
- مشلولة رفعتي ، الجنون غمرني .
- الوغد يعز ، ولكني جعلت في الحضيض .

- **الصديق :**

- رفيقي المعول عليه ، حامل المعرفة ، افكارك خاطئة .
- لقد تخليت عن الصواب وكفرت بمقاصد الهك .
- في عقلك دافع للاستخفاف بالقدر الالهي .
- ..... الاحكام المعلنة لالهتك.
- مقاصد الالهة مثل مركز السماء .
- قرارات الالهة ليست .....
- لاجل الفهم كما ينبغي .....
- افكارهم .... للبشرية ،
- لادراك طريق الالهة .....
- تبريرهم ليس ببعيد ....

(نقص في اللوح من السطر ٨٨-١٢٤)

- **الصديق :**

- انا .....
- عملت ابيض .....
- اهتممت بـ .....

- اعتليت بالصغار .....
- جعلت الناس مرفهين .....
- جمعت .....
- التفت للاله.....
- طلبت ما هو ضروري .....

- **المعذب :**

- سأترك منزلي .....
- سوف لا ارغب بأية ممتلكات .....
- سأتجاهل انظمة الهي وسأدوس على طقوسه .
- سأذبح عجلا و.... طعام ،
- سأسلك الطريق واذهب الى اماكن بعيدة .
- سأحفر بئرا واطلق فيضانا .
- مثل النصوص سأطوف البلد الواسع .
- سأذهب من بيت الى بيت لسد الجوع ،
- جائعا سوف امشي هنا وهناك ، واجول الشوارع .
- مثل المتسول سوف ..... داخل .....
- النعيم بعيدا جدا .

- **الصديق :**

- صديقي عقلك كامن على .....
- الفعاليات البشرية التي لاتريدها .....
- في عقلك يوجد .....
- رشدك تركك.....

(نقص في اللوح من السطر ١٤٨-١٥٨)

- **المعذب :**

- الابنة تتكلم ..... مع أمها .
- الصياد الذي نصب شبكته وقع .
- آخذا كل شيء ايهما .....حظ ؟
- المخلوقات المتوحشة العديدة التي .....
- مَن من بينهم له .....؟

- فهل انشد ابنا وابنة .....
- افلا افقد ما وجدته .....

- **الصديق :**

- ايها المتواضع والخاضع .....
- ارادتك ستخضع دوما .....ثمين .
- ..... عقلك .....

(نقص من اللوح من السطر ١٦٩ -١٨٠)

- **المعذب :**

- ولي العهد يرتدي ملابس .....
- ابن المعدم والعاري يرتدي ملابس .....
- حارس الملت .....الذهب .
- في حين ان الذي يكيل ذهبه اللامع بمكيال الحبوب يحمل .....
- النباتي يلتهم مأدبة النبيل .
- في حين ان ابن الوجيه والثري يعيش على الخرنوب .
- مالك الثروة يهوي .... بعيدا جدا .

(نقص في اللوح من السطر ١٨٨-١٩٨) .

- **المعذب :**

- ..... حكمه .
- انت احتويت الحكمة كلها ، انت تنصح الناس .

(نقص في اللوح من السطر ٢٠١-٢١١) .

- **الصديق :**

- لقد جعلت من عقلك الراجح ضالا .
- ..... لقد طردت الحكمة .
- لقد ازدريت اللياقة ، لقد دنست القدر الالهي .

- من يضع على رأسه تاج الكاهن ، يختلف كثيرا عن الذي يحمل سلة الملاط على رأسه .
- ..... جعل من الشخص متنفذا .
- ..... يسمى بالعالم .
- ..... يعتنى به ويحصل على رغباته .
- ..... اتبع طريق الاله وتقيد بطقوسه .
- ..... يعد غير صالح .

- **المعذب :**
- ..... الاوغاد.
- .....كلهم يخدعون .
- ..... يكدسون البضائع .

(نقص في اللوح من السطر ٢٢٤ -٢٣٤)

- **الصديق :**

- بالنسبة الى الوغد الذي تتطلع الى استمالته .
- .....ـه سرعان ما تتلاشى .
- الملحد يخدع من له ثروة .
- سيلاحقه سلاح الذين يتجارون بالموت .
- مالم تلتمس ارادة الاله ، فما هو حظك .
- ذلك الذي يتحمل نير الهه سوف لن يعوزه الطعام ، رغم كونه ضئيلا .
- التمس نفس الاله الرحيمة .
- ما فقدته خلال سنة ستعوضه في لحظة .

- **المعذب :**

- لقد تلفت حول المجتمع ، لكن الشواهد كانت على العكس .
- الاله لايمنع طريق الشيطان .
- الاب يجر قاربا على طول القناة .

- في حين ان الابن البكر مستلقي على السرير .
- الابن البكر يتعقب طريقه كالاسد .
- الابن الثاني سعيد بكونه سائق بغل .
- الوريث يتشامخ على طول الطريق متنمرا .
- الابن الاصغر سيعطي طعاما للمعوز .
- ماذا استفدت حين انحنيت لالهي ؟
- علي الانحناء للقليل القيمة الذي يلقاني .
- حثالة البشرية ، كالموسر والثري ، يعاملونني بأزدراء .

- **الصديق :**

- ايها العاقل ايها العالم ، الذي يبرع بالمعرفة .
- بقنوطك تكفر بالاله .
- العقل المقدس ، مثل مركز السموات ، بعيد .
- معرفته صعبة ، عامة الناس لاتعرفه .
- من بين جميع المخلوقات الذين كونهم ارورو .
- الاول في الذرية بشكل عام ....في حالة البقرة ، فان العجل الاول يكون واهنا .
- والذرية التالية اكبر حجما منه مرتين .
- يولد الطفل الاول ضعيفا .
- لكن الثاني يسمى بالمحارب البطل .
- قد يدرك الرجل ما هي مشيئة الاله ، لكن الناس لاتعرفها .

- **المعذب :**

- انتبه ، صديق ، انهم افكاري .
- تتبع التعابير المختارة لكلماتي .
- الناس تمجد كلمة الرجل القوي الذي اعتاد على القتل .
- لكنها تضع في الحضيض ، الذي بلا قوة ولم يعمل سوءا .
- انهم يعززون الشرير الذي جريمته ....
- مع ذلك يضطهدون الرجل الامين الذي يتبع مشسئة الهه.

- يملئون مخزن الظالم بالذهب .
- لكنهم يفرغون مخزن طعام الفقير من مئونته .
- يسندون القوي ، الذي ..... أثما .
- لكنهم يفتكون بالضعيف ، ويبعدون الذي لاقوة له .
- وبالنسبة لي ، الفقير فأن المحدث الثراء يلاحقني .

- **الصديق :**

- نارو ملك الالهة ، الذي خلق البشرية .
- وزوكار الجليل ، الذي استخرج طينتهم .
- الربة مامي ، الملكة التي شكلتهم .
- قدموا كلاما خاطئا للجلس البشري.
- منحوهم وللابد الاكاذيب وليس الحقيقة .
- يتحدثون بأجلال عن الرجل الثري.
- "انه ملك " يقولون ،"الثروة تسير بجانبه " .
- لكنهم يؤذون الرجل الفقير كاللص .
- يفترون عليه بغير حساب ويكيدون لقتله .
- يجعلونه يقاسي كل المصائب كالمجرم ، لانه بلا سند .
- وبشكل مروع يوصلوه الى نهايته ، ويطفئوه كالشعلة .

- **المعذب :**

- انت شفوق ، صديقي ، لقد لاحظت حزني .
- ساعدني ، انظر الى أساي ، ادركه .
- انا ، رغم اني متواضع ، حكيم ومتضرع .
- لم ارى مساعدة وتخفيفا للحظة واحدة .
- لقد مشيت في ميدان مدينتي دون ان اتطفل .
- صوتي لم يكن مرتفعا ، كلامي ظل منخفضا .
- لم ارفع رأسي ، انظر نحو الارض.
- لم اتعبد حتى كعبد بصحبة رفاقي .
- فليساعدني الاله الذي نبذني .

- فلترحمني الالهة التي تخلت عني .
- فالراعي شمش يقود الناس كالاله .

يشكو المعذب ، الغارق بالخيبة والقنوط ، ظلم الاله والمجتمع على حد سواء، اذ بدت شكواه متشعبة ابتداها بحزنه لفقدان والديه وهو لم يشب عن الطوق بعد وتركه وحيدا يجابه الحياة بلا سند ، والثانية تخلي الالهة عنه لسبب ما ، رغم عبادته لها بانتظام وتقديم القرابين بلا انقطاع ، كما يقول . والشكوى الثالثة كانت حول اضطهاد اخيه الاكبر الذي وصفه بالواسع والمحدث الثراء.

يعطي المعذب انطباعا بحقد دفين تجاه اخيه المالك لكل شيء في حين ظل هو معدما لايملك أي شيء . وقد عرفنا من خلال بعض السطور انه ، أي المعذب ، كانت حياته افضل مما هي عليه حيث يملك حقلا للذرة ويعمل سائقا لبغل ، كان حانقا على ذوي النعمة ولم يسلم من ذلك حتى ولي عهد بلاده الذي قال عنه انه كان يرتدي افخر انواع اللباس ، وان لم نستطع تحديد نوعها بسبب فقدان الكلمات من اللوح .

لقد عكس النص من خلال هذه الشكاوى تناقضات المجتمع ، فليست هناك، في نظر المعذب، عدالة الهية تجزي الطيب وتعاقب الشرير ، كما ان العدالة الاجتماعية مفقودة فالاثرياء يكدسون بضائعهم ليؤذوا الناس ، لكن الناس تحترمهم لا لشيء الا لاموالهم ، والقتلة الاوغاد يسيئون للناس لكنهم يحظون بكل احترام.

اكتفت اجوبة الصديق الناصح بتطييب خاطره كما في قوله بأن منحه الاله رغم كونها قليلة الا انها لاتنقطع وان الثري الذي يكدس البضائع سيؤول مصيره الى الحرق ،وان الشرير لابد وان يلقى جزاءه العادل ، وتنتهي النصائح كلها لتصب في نصيحة واحدة هي الرجوع الى طريق الصواب المتمثل بالعودة الى عبادة الهه وطلب شفاعته ومساعدته .

كما نصحه بالعيش ضمن نطاق مجتمعه بعد ان هدده المعذب بأنه سيترك عمله ويتحول الى متسول يجوب البيوت ، ولايتزوج بعد ان وجد في المجتمع ان الابنة توجه كلاما جارحا لامها .

يلاحظ في بداية النص ان شكوى المعذب اقتصرت على حرمانه من والديه في حين شمل جواب الناصح قولا عن كراهية الناس للاثرياء . ويلاحظ كذلك ان الناصح قد اسبغ على نفسه كلمات مديح رنانة ، بطريق غير مباشر ، جاءت على لسان المعذب ، من ذلك : الرجل الحكيم ، العاقل، ذو عقل كالنهر ينبوعه لاينضب ، انحني لك ، ادرك حكمتك وغيرها .

لغة المعذب جميلة للغاية واتخذت شكل طابع مسرحي كقوله : اقدم ، اصغ لما اقول ، انتبه للحظة ، اسمع كلامي ، كلمة واحدة فقط اضعها امامك ، افهم افكاري ، تتبع التعابير المختارة لكلماتي ، لقد لاحظت حزني، انظر الى أساي .

بدا المعذب اكثر فصاحة من الناصح وبشكل خاص الفقرة التي تضمنت معاني بليغة وجاء فيها :

" ان جسدي حطام ، الهزال جعلني مكفهرا .
نجاحي اختفى ، استقراري مضى
قوتي ضعفت ، رخائي انتهى
النواح والحزن شوها قسماتي "

ولعل من اشد ما قاله تهجمه على آلهته واختراقه لمقدساته بقوله :

" الاله لايمنع طريق الشيطان
سوف اتجاهل انظمة الهي وسأدوس على طقوسه "

من خلال مراجعة المقاطع الاخيرة للنص يستشف ان المعذب لم يقتنع تماما بما قاله الصديق الناصح بقوله :

" فليساعدني الاله الذي نبذني
فلترحمني الاهلة التي تخلت عني "

هو قول اقرب الى الاستسلام ، ولذلك بأستطاعتنا القول ان المحاورة تحتسب لصالح المعذب .

السيد والعبد :

الكلام هنا يدور بين سيد وعبده ، ويرجع هذا الضرب من الادب الى ١٠٠٠ ق.م . وقد اختلف الباحثون في تحديد اهدافه فعده البعض انه شكل من اشكال

السخرية ، او نقد للقيم الاجتماعية والدينية السائدة آنذاك ، او انه يعكس مفهومي الخير والشر [٢٣] .

اصطبغت النصوص التي دارت بين السيد والعبد بصبغة اجتماعية واضحة غايتها التأديب وتعليم العبد طاعة سيده فيما يقوله ، هذا رغم انها على الاكثر سوف لن تكون في متناول يد العبد فهو اما غير متعلم او ان تعليمه محدود ، كما انها تحث الطرف الرئيس بالتزام القوة والحزم في المعاملة وتأمر الطرف المرؤوس بالخضوع وتنفيذ الاوامر .

النص الاول : [٢٤]

- ايها العبد ، اصغ الي .
- نعم ، ايها السيد ، نعم .
- سأعمل امرا معيبا .
- اعمل ، اعمل ، مالم تعمل شيئا معيبا ، فمن اين ستأتي ملابسك ؟ ومن سيعطيك شيئا يملىء كرشك ؟ .
- كلا ايها العبد ، سوف لن اعمل أي شيء معيب .
- الرجل الذي يعمل امرا اما يقتل او يجلد واما تقلع عيناه ، او يؤسر ، او يسجن .

النص الثاني : [٢٥]

- ايها العبد اصغ اليّ
- نعم ، ايها السيد ، نعم .
- سأتصل بأمرأة.
- اتصل ، سيدي ، اتصل .الرجل الذي يتصل بأمرأة ينسى الحزن والهم .
- كلا ايها العبد سوف لا اتصل بأمرأة .
- لاتتصل ، ايها السيد ، لاتتصل ، المرأة شرك ، حفرة ، خندق ، المرأة خنجر حديدي حاد يقطع حلقوم الرجل .

النص الثالث : [٢٦]

- ايها العبد اصغ الي ّ
- نعم ايها السيد ، نعم .
- ما هو الصالح ؟
- ان تكسر رقبتي ورقبتك او نلقى في النهر ، فمن هو الطويل ، بما فيه الكفاية ، ليصل الى السموات ؟ ومن هو الواسع ، بما فيه الكفاية ، ليطوق العالم السفلي ؟
- كلا ايها العبد سأقتلك ، سأدعك تذهب اولا .
- اذن ، اقسم ، ان سيدي لن يجعلني اعيش حتى لثلاثة ايام .

الهوامش

١) بارو ، اندريه، بلاد اشور، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه (بغداد ١٩٨٠)، ص٢٩٥.
٢) عبدالواحد ، فاضل وسليمان ، عامر ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، (بغداد ١٩٧٩) ص١٣٩ .
٣) ابراهيم ، زكريا ، مشكلة الفلسفة (القاهرة ، ب ، ت) ص١٨٣ .
٤) خليل ، خليل احمد ، مضمون ، الاسطورة في الفكر العربي (بيروت١٩٨٠) ط٢، ص١٧.
٥) المصدر نفسه ، ص١٧٤ .
6) Lambert, W.G.,Babylonian Wisdom Literature, (Oxford,1960), P.I.
7)Told.,p.16.
٨) ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب المحيط، تقديم عبدالله العلايلي ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ، (بيروت ، ب.ت)، باب : حور ، م١،ص٧٥١ .
٩) الزبيدي ، محمد مرتضى ،تاج العروس من جواهر القاموس،(القاهرة، ١٣٠٦هـ) باب : حور ط١ ،م٣ ، ص١٦٢ .
١٠) صليبا جميل، المعجم الفلسفي ، (بيروت ١٩٧١) ،ط١،ج١ ، ص٥٠١.
11) The new Encyolopaedia Brittanica : Mioropaedia, ”Dialogue” ,(U.S.A1977), 15th ed., Vol.II,pp.518-519
١٢) صليبا ، المصدر السابق ،ج١،ص٥٠١ .

١٣) الزبيدي ، المصدر السابق ، باب : جدل ، م٧ ، ص٢٥٤ .
14) Livingstone, A., (ed), Court Poetry and Literary Miscellanea, (Helsinky, 1989), PP.33-35 .
١٥) الاحمد ، سامي سعيد ، "الادارة ونظام الحكم " حضارة العراق (بغداد ١٩٨٥) ،ج٢،ص١٠
١٦) المصدر نفسه ،ص١١.
17)Lambert, OP. cit., P.15.
18) Ibid.,P.17.
19) Ibid.,P.63.
20) Ibid.
21) Ibid.P.67.
22) Ibid.,PP.71-89.
٢٣) عبدالواحد ، فاضل ، "الادب " حضارة العراق (بغداد ١٩٨٥) ،ج١، ص٣٧١-٣٧٢ .
24) Pritchard, james B.,(Editor), Ancient Near Eastem Texts Relating to the Old Testament, (Princeton.1969), 3rd. ed., P.601 .
25)Ibid.
26)Ibid

ايضاحات

- نابو : اله الخط وابن الاله مردوخ .
- اماشماش : المعبد الذي عبدت فيه الالهة عشتار في مدينة نينوى .
- اوركيتو : معبد الالهة عشتار التي عبدت في مدينة اور.
- اكشنكلما : المعبد الذي عبدت فيه الالهة عشتار في ارابيلا .
- موليسو : رفيق الاله اشور .
- بوربلاتو : نوع من الحشرات لم يحدد صنفها .
- The Chicago Assyrian Dictionary, Editoral Board I.J.Gelb, B. Landsberger, A.L.Oppenheim and E.Reiner,(Chicago,1979)3rd ed., Vol.2,p.329 .
- نهر خير : نهر يقع في العالم السفلي .

- The Chicgo Dictionary,Op.Cit.,Vol.3.p.219 .
- مامي : الالهة الخالقة .
- الوجرة : حفرة مغطاة لاصطياد الوحوش .
- الملت : شعير ينقع بالماء .
- شمش : اله الشمس اوتو .سماه السومرين اوتووس ، والبابليون شمش . وهو اله العدل . مركز عبادته سبار (ابو حبة) وكذلك الحضر .